الإبداع وعوائقه في الثقافة العربية

م.م. منتهى حسن محمد علي
كلية الإدارة والاقتصاد
mountaha. Hassan @uomustansiriyah.edq.iq

الملخص:

ارتأينا في هذا البحث تسليط الضوء على اهم العوائق للأبداع سواء في بنية الثقافة العربية ، ولا شك في ان تلك الظواهر وما لها من انعكاسات مختلفة على الواقع الثقافي العربي ما تزال بحاجة الى المزيد من الدراسات والتمحيص الدقيقين؛ ولا سيما ان هذا المجال في هذا الطريق لم تتمهد سبله في ساحتنا العربية ، فقد اوقعنا التهمة على تحميل الآخر مسؤولية ما يلحق بنا من اذى وما نعانيه من ضعف ، بالإضافة الى غض الطرف عما بداخلنا وانفسنا ، في حين انه قد آن الاوان لتشخيص ما بنا من ادواء تشخيصا موضوعيا ، واستنهاض الهمم لعلاجها هذا اذا كنا نريد الا نبقى مفعولا بنا ومكتوفي الايدي ، ويجب علينا ان نكسب المستقبل من خلال الرهان عليه بالإسهام وفاعلية في سوق المعرفة والقيم الثقافية المبدعة في عالم لا مكان فيه لغير القوي المبدع بالتأكيد .

ويبقى الابداع العربي اسير المعوقات الذاتية والخارجية الجارفة ما لم يتم وضع استراتيجية شاملة وصحيحة لمواجهتها فتتجاوز كشفها وفحصها وتحليلها بثبات وثقة بالنفس ، والاستغلال الامثل للمقدرات ، وتوظيف وتحكيم العقل والعلم والايمان ، الى جانب الانفتاح وعدم التقوقع والانكفاء على الذات ، من اجل تحقيق هذا كله فان هذه الاستراتيجية تتطلب فضلا عن ذلك ؛ رؤية صحيحة لنا وللآخر وللطبيعة ، وتكون بعيدة كل البعد عن التعصب العرقي والمذهبي والديني ، والانجراف وراء العواطف والمشاعر ، الى جانب ذلك كله تتطلب ايضا المرونة في غير الثوابت العقدية والثقافية .

الكلمات المفتاحية: (الابداع ، عوائق الثقافة العربية).

Creativity and its obstacles in Arab culture

Mountaha Hassan Mohammed ali
College of Administration and Economics
Al-Mustansiriyag University

Abstract:

In this research, we wanted to shed light on the most important obstacles to creativity, whether in the structure of Arab culture. There is no doubt that these phenomena and their various repercussions on the Arab cultural reality still need more studies and

careful scrutiny. Especially since this field in this way has not paved its way in our Arab arena, we have been accused of holding the other responsible for the harm that befalls us and the weakness we suffer from, in addition to turning a blind eye to what is inside us and ourselves, while the time has come to diagnose what is in us. To make an objective diagnosis, and to mobilize determination to treat it, if we do not want to remain passive and passive, and we must win the future by betting on it by contributing effectively to the knowledge market and creative cultural values in a world where there is no place for anyone but the strong and creative.

Arab creativity remains a prisoner of the sweeping internal and external obstacles unless a comprehensive and correct strategy is developed to confront them. The strategy furthermore requires; A true vision for us, the other, and nature, far removed from ethnic, sectarian, and religious fanaticism, and drifting behind emotions and feelings.

Keywords: (Creativity ، obstacles in Arab culture).

اهمية البحث :

تنبع اهمية البحث من الاهتمام بقضية الابداع في الثقافة العربية ، من القلق المتزايد على مستقبل هذا الفن في ظل واقع حائر يواجه تحديات عولمة جارفة متجددة المظاهر والاليات .والمشاركة واستهداف البعد الثقافي العربي ، بعد ان تم الاختراق السياسي والاقتصادي خاصة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، ذلك يجعل من المشروع العمل على النهوض بالابداع في اطار تفعيل الجبهة الثقافية .

مشكلة البحث : مواجهة مشكلة ليست بالبسيطة حيث ان العرب لم يشعروا في يوم من الايام بما يشعرون به اليوم من قلق واحباط على مستقبلهم من جراء واقعهم المتأزم وتيار العولمة الجارف .بالاضافة الى غياب الدراسات في هذا الموضوع في وقت تتعالى فيه اصوات الغيارى على مستقبل هذه الثقافة .

الزمان والمكان : بما اننا نتحدث عن ثقافة عربية فليس لها حدودو مكانية ولا زمانية .

اهم التوصيات : هي تحديد معوقات الابداع هو الخطوة المنهجية الاولى ووضع خطة للنهوض به يراد لها النجاح ، اي تحتاج الى تكاتف وتضافر الجهود في مختلف مجالات الدراسات .وايضا حث كل المبدعين في مختلف المجالات العلمية والادبية على حد سواء الى تحدي العقبات والصعوبات والمواصلة في طريق الابداع ، والنهوض بالواقع العربي والارتقاء بالمستوى المطلوب والباع الطويل والعريق للامة العربية .

اهم النتائج : ان التداخل المتصاعد والمستمر اليوم بين العوامل الداخلية والخارجية يجعل من الضروري ادراك حقيقة العولمة كظاهرة ينبغي استيعابها في ابعادها المختلفة ؛ للاستفادة من جوانبها الايجابية ، والتصدي ومواجهة ابعادها السلبية .

المقدمة:

الاهتمام الحالي بقضية الابداع في الثقافة العربية ، ينبع من الخوف والقلق المستمر على مستقبل هذه الثقافة وذلك في ظل واقع مرير يواجه تحديات عولمة جارفة ومتجددة في المظهر والادوات ، لم يشعر العرب في اي يوم بما يشعرون به الان من احباط وقلق على المستقبل ؛ وذلك بسبب واقعهم المتأزم ، في ظل تيار العولمة الجارف ، وما عرف من مضاعفات خطيرة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، اي خطوة مهما كانت وجاهتها يتوقف نجاحها على التشخيص الدقيق اكيد والواضح لما يعترض طريق تطبيقها من عوائق ، وتجديد الطرق الصحيحة بالتغلب عليها . فان تحديد معوقات الابداع هي الخطوة المهمة والمنهجية الاولى لغرض وضع خطة للنهوض به والتي يراد لها النجاح .

لم يحدد العلماء مفهوم واحد للابداع وذلك لتأثره ببعض المؤثرات الخارجية ؛ ولكنهم يفضلون التعريف القائل ان الابداع هو تلك الافكار الجديدة التي يفكر فيها الفرد بصورة مستمرة ثم يقدم على التنفيذ ، فالابداع امر عقلي وجداني ينبع من داخل الانسان يساعده على مواصلة الحياة .فهو القدرة على ابتكار الجديد والمهم المفيد ((عن طريق اعادة تنظيم عناصر الموقف ، واعادة تكوين الواقع ، وتغيير النظرة اليه))

، وبتعبير آخر : هو عملية إخصاب بين طاقة كامنة ولديها الانسان ووسط احتضن الطاقة ، وحفزها للظهور والتميز والابداع .يبدأ بفكرة او معلومة جديدة يعمل المبتكر على تنفيذها ، ويستخدم الوسائل العلمية التي تساعده على توثيق الفكرة والخروج بالعمل الابتكاري ، فهو من السلوكيات المكتسبة وليست الوراثية ، يكتسبها الشخص من البيئة التي حوله اذا ما توافرت العوامل التي تساعده على الابداع .

اما الثقافة فهي : ((بنيان معقد من العقائد والقيم والافكار والمعايير التي توجه سلوك الافراد وحياة المجتمعات ، حول ما هو صحيح وما خطأ ، وما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب منه)) ([١])

العوائق الذاتية للابداع

قد يكون من المفارقة الحديث عن الابداع في الثقافة العربية في وقت تشعر فيه بقلق حضاري واقعي على مستقبل الامة العربية نفسها ، لما يهدده من تحديات استراتيجية شاملة جعلت البعض يتحدث عن تراكم الانكشافات الاستراتيجية العربية ([٢]) . غير ان الوعي بخطورة التحدي وضرورة مواجهته ، والارتباط المتأصل بين الثقافة والسياسة في فكرنا العربي ، والاحساس باستهداف البُعد الثقافي العربي بعد ان تم الاختراق السياسي والاقتصادي ؛ كل ذلك جعل من الضروري العمل على النهوض بالابداع في اطار تفعيل الجبهة الثقافية .

لا يوجد تعريف جامع وشامل للابداع والذي يعتبر من اكثر المفاهيم الفكرية التي فيها خلافات ؛ وذلك بسبب تداخل مستويات البحث فيه واختلاف الباحثين في مرجعياتهم ([٣]) .

فيرى (تيزين)([٤]) ان مقاربة هذا المفهوم (برؤية تركيبية) والتي تساعد في تسهيل الاحاطة والعلم باهم دلالاته ، حيث تنطلق المقاربة من ثنائيات (جدلية التواصل والتفاصل التاريخي) والمعرفي ، والسابق واللاحق ، والدال والمدلول ، والحرية والضرورة ... الخ في عملية الابداع .

اما (ويتيج) يرى ان ((الابداع فعل مبتكر او اصل متعمد ، مفيد ويستحق الاهتمام ويقدم حلا فريدا لمعضلة معينة)) ([٥])

ويعرفه (رونبز) على انه : ((القدرة على جمع الافكار بطريقة فريدة لإيجاد ارتباط غير عادي بينهما)) ([٦])

اما بالنسبة لعلماء اليابان فان الابداع عندهم يعني ((هو انتاج شيء جديد ، يتصل بمجال اجتماعي محدد ، ويتصف بالاهمية والفائدة)) ([٧]) .

وهناك من يرى ان الابداع هو ((القدرة على رؤية علاقات جديدة بين حقائق الحياة الموروثة وتصورها ، والقدرة على عبور حاجز العرف والتقاليد السائدة في مجالات الفكر الانساني كافة ... انه تنظيم كلي اولي لخبرة سابقة من المدركات ، ومن اثار الذاكرة ، وصور الاشياء والحركات ، وهو تنظيم طامس لدرجة انه لا يتمظهر في عبارة او لفظ ، وتعمل الصورة والخيال معا على تحفيز هذه المعرفة بواسطة المعارف الاقرب وتحريكها لاحتوائها فيه)) ([٨]) .

بينما ذهب آخر في تعريفه للابداع على انه ((مشروع لتعبئة الطاقات في سبيل الإثبات بالجديد المختلف والجوهري عن طريق إعادة تنظيم عناصر الموقف ، وإعادة تكوين الواقع وتغيير النظرة اليه ...)) ([٩]) .

وآخرون فسروا الابداع على انه موهبة ، وجهد ، ودربة ، وربطوه بـ ((عوامل موضوعية ، فاشترطوا له الثقة بالذات ، وحب الاطلاع ، وروح الإشكال والميل الى طرح الاسئلة ، ووجود الروح النقدية ، والقدرة على الاستجابة التلقائية ، وحب الإصالة والتفرد ، والاستقلال في الرأي ، والقدرة على التركيز طويلا وعلى تجميع الذات إزاء مشتتات الانتباه في العالم الخارجي ، وقوة الإرادة وبإختصار توفر الحافز والمعرفة والإرادة)) ([١٠])

الابداع في مدلول الاقدمين :

فيعرفه الجرجاني انه : ((إيجاد الشيء من لا شيء ، وقيل انه تأسيس الشيء عن الشيء ، والخلق إيجاد شيء من شيء ، قال تعالى : ((بديع السموات والارض)) وقال تعالى : ((خلق الانسان)) ولم يقل بديع الانسان ([١١]) .

بينما ذهب التهانوي الى ان الابداع في اللغة هو إحداث شيء على غير مثال سبقه ، وفي اصطلاح الحكماء هو : إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ويقابله الصنع وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم ([١٢]) .

اما المعاجم العربية لا تقدم فصل مقال في هذا المضمار يسوغ العودة اليها والخوض في تعريفاتها اللغوية التي لا مكان فيها لتطور دلالة المصطلحات تأريخيا .

ويبقى الابداع وليد العبقرية والتي بدورها لا تنمو ويشتد عودها الا اذا وجدت وسطا صالحا لنموها ، فإن لم تجد ذلك الوسط بقيت كامنة ، والطفل البدوي الذي ينمو في الصحراء خلف القطيع قد يكون له استعدادا خارق في الرياضيات او في اللغات ، ولكن استعداده هذا لن يبرز ويصل للانجاز والابداع الا اذا احاطته بيئة ملائمة مساعدة ، فالمبدع ما هو الا نتاج عملية إخصاب بين طاقة كامنة ووسط احتضن الطاقة وحفزها الى الظهور وثم التميز ، ولا دخل لنا ولا حول ولا قوة في البعد الوراثي من العبقرية ، وليس لنا عنه الا رؤية ضبابية لا تشجعنا على الحديث عنه .

اما الوسط الذي يخفض العبقرية ويولد فيه الابداع فهو اساسا موضوع الحديث ، وسنعرض بإيجاز العوائق الذاتية التي تعترض سبيل الابداع الثقافي العربي على الصُعد الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

اولا : العوائق الثقافية

يندرج تحته الظواهر المتعلقة بالعقل الثقافي العربي وموروثه الذهبي ومظاهر التخلف في الواقع الثقافي العربي المعيش ، سيكون الحديث حول الموروث الثقافي والمنظومة التربوية ، وواقع الانتاج الثقافي والاعلامي وشيوع ظاهرة الامية وحضور الايدلوجيا .

١. الموروث الآسر

تشكل المكانة الكبيرة التي يحتلها العرفان في بيئة العقل العربي ، وتحكم النزعة القبلية الماضية في الثقافة العربية ، والمسلمات القبلية الجاهزة اهم معوقات الابداع في الموروث الثقافي العربي .

أ . العقل العرفاني

يستخدم العرفان هنا بدلالاته الثلاث لدى الجابري الذي يعتبر انه نظام معرفي ومنهج ((في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم ، وايضا موقف منه ، انتقل الى الثقافة العربية الاسلامية من الثقافات التي كانت سائدة قبل الاسلام في الشرق الادنى ، وبكيفيته خاصة في مصر وسوريا وفلسطين والعراق)) ([١٣]) .

وبين في مقاربته ان الموقف العرفاني يتسم بالهروب من الواقع ورفضه كلما اشتدت وطأته ((على الفرد الذي لا يعرف كيف يتجاوز فرديته ويجعل من قضيته الشخصية قضية جماعية ...)) ([١٤]) .

اما العرفان كفعل معرفي هو ما يسميه اصحابه بـ الكشف او العيان ، وكعقل معرفي ، هو عبارة عن خليط من هواجس وعقائد واساطير تتلون بلون الدين الذي تقوم على هامشه لتقدم له ما يعتقد العرفانيون انه ((الحقيقة الكامنة وراء ظاهر نصوصه ...)) ([١٥])

وعلى الرغم من اهمية النزوع الاشراقي في فهم اليآت عمل العقل العربي ،فأنه يقفز عن الواقع ، ويكرس اللا معقول ، ويطلق العنان للمعتقدات الاشرافية الباطنية من كرامات وخوارق ، واعتقاد في الطلسمة والسحر ، وان عقلية كهذه تتعامل مع الممكنات الذهنية كمعطيات واقعية ، لا تشجع على الخلق والابداع ، بل تشكل عائقا امامها ، ويجب تجاوز هذا الخطاب العرفاني وإعادة بنائه لتحرير الابداع في الثقافة العربية الاسلامية من احد المعوقات الآسرة .

غير ان عملية نقد العقل هذه ينبغي ان تتم بصفة واعية لا شطط فيها ، تحرره من هيمنة النزعة الباطنية المغيبة للعقل البرهاني والمعرفة للتدبر في خلق الله ، ويحتفظ للبعدين البياني والعرفاني بمكانتهما الطبيعية في العقل العربي المتعدد الابعاد .

وبقدر ما اصبح عرب ما بعد الحداثة بحاجة الى الخروج من أُطر الحداثة الهرمة والتخفيف من وطأة العقل الاواني والتنميط الثقافي والفكري والصناعي ؛ فاننا في العالم العربي الاسلامي في امس الحاجة الى صحوة عقلية تعيد التوازن الى نظم المعرفة في العقل الثقافي العربي لصالح البرهان ، ولا نقص ((العديد من المعارف واشكال التعبير الثقافي من دائرة المعقول ...)) ([١٦]) وذلك المقصد الاكثر انسجاما مع مرجعتنا الفكرية وثقافتنا النقلية المؤمنتين بمصدر آخر للمعرفة غير العقل .

ب . الثقافة النقلية والمسلمات القبلية وتحكم النزعة الماضوية

الجابري يذهب للقول ان العقل العربي ((لا يفكر الا انطلاقا من اصل ، او انتهاء اليه ، او بتوجيه منه ، الاصل الذي يحمل معه سلطة السلف ، اما في لفظه او في معناه)) ([١٧]) ، وبالفعل فان الطابع الغالب على الثقافة العربية الاسلامية كان طابع اتباع ونقل للابداع والعقل . وقد اصبحت تلك السمه ملازمة للتراث العربي الاسلامي في نشأته الاولى ، وترسخت عبر متعرجات التاريخ الاسلامي الاساسية بدءا بالفتنة الكبرى ودورها التاريخي البالغ الاثر ، مرورا بتبلور الرؤى الفعلية والنقلية التي قامت على اساس الفرق والمذاهب الاسلامية المختلفة وانتهاء بغلق باب الاجتهاد وطغيان نزعة التقليد .

وهكذا سارت الثقافة النقلية النصية . وتحكمت النزعة الماضوية بوصفها موروثا تاريخيا يعتبره العرب والمسلمون ركنا حنيفا يلوذون به . وقيمة معيارية وسلطة مرجعية يتكئون عليها ، حتى ((صار التقليد دربهم والاقتداء يقينهم)) ، حسب تعبير ابن العربي ([١٨]) .

ومن احضان هذه المنظومة المرجعية الثقافية المكرسة للنقل والتقليد على حساب العقل والتأويل ، ولدت جملة من المسلمات القبلية الآسرة للابداع ونضرب مثلا لها ببعض المقولات المأثورة في ثقافتنا مثل قولهم : ((ما ترك الاولون للاخرين شيئا)) ، ((الاصل بقاء ما كان على ما كان)) ، ((من حفظ المتون حاز الفنون)) ، ((ليس لنا ان نقيس الا ما قاست عليه الاوائل وليس لنا ان نقول الا ما قالت به العرب الاول)) ، ((من تمنطق فقد تزندق)) ، ((من اراد ان يؤلف كتابا في النحو بعد سيبويه فليستح)) ، ((من الف فقد استهدف)) ، ((الخير كل الخير في الاتباع ، والشر كل الشر في الابتداع)) .

وقد كان رفع هذا النوع من الطرح مؤثرا حتى على الخاصة من الناس الى حد ان صوتا له مكانته في المرجعية الثقافية العربية ، مثل ابن مالك الذي شكك في اطلاقته حينما قال في مقدمة التسهيل : ((اذا كانت العلوم مفهما الهية ، ومواهب اختصاصية ،وغير مستبعد ان يدخر لبعض المتاخرين ما عصى على كثير من المتقدمين))([١٩]) .

وسيلقى هذا الموروث التاريخي بظلاله الكثيفة على المنظومة التربوية العربية الجاهزة ، وبناء ثقافة عصرية مبدعة توائم بين الاصالة والحداثة .

٢. تخلف المنظومة التربوية

تتشكل المنظومة التربوية من الاسرة والمدرسة اللتين تناط بهما مهمة انتاج واعادة انتاجها ، وتربية الناشئة وتكوينهم ويعاني هذان المرفقان الحيويان من عوائق تحول دون قيامها بمهامها على الوجه المبدع الامثل ، حيث يعتبر اكثر الباحثين ((ان المنظومة التربوية السائدة في المجتمعات العربية هي سبب رئيسي من اسباب تاخر المجتمعات العربية ، والمنظومة التربوية تعني هنا نظام القيم الذي يخترق العلاقات الاجتماعية وينعكس في نظم التربية والتعليم وقواعد الضبط والسلوك الاجتماعي)) (٢٠) .

فدورالاسرة في انتاج القيم الاخلاقية والاجتماعية والثقافية قد اصابه الوهن بسبب ((حداثة مرتبكة)) هزت كيان الاسرة ، ونالت من سلطتها المطلقة ومرجعيتها القيمية بسبب وجود مصادر اخرى لانتاج القيم ونشرها بأكثر الطرق التقنية نفاذا اي الاعلام المرئي ، وبذلك اصيبت الاسرة بما اسماه عبد الاله بلقريز بفقدان المناعة القيمية المكتسبة)) (٢١) .

وتشير الدراسات المختصة الى ان اكثر اساليب التنشئة انتشارا في الاسرة العربية هي اساليب التسلط والتذبذب والحماية الزائدة ، مما يؤثر بصورة سلبية على نمو الاستقلال والثقة بالنفس والكفاءة الاجتماعية .

ويؤدي هذا الاسلوب الى زيادة السلبية وضعف مهارات اتخاذ القرار ؛ لا في السلوك فحسب ، وانما في طريقة التفكير ايضا ؛ حيث يتم تعويد الطفل منذ الصغر على كيفية كبح التساؤل والاكتشاف والمبادرة واظهار المواهب (٢٢) .

اما عوائق المدرسة فأقوى واكثر من ان تحصى في مثل هذا السياق ، فقد اصابها . هي ايضا . الضعف والفتور والاخفاق الذريع ، وخيبات النظام التعليمي ما عُلق عليه من امال في التغيير الاجتماعي والنهوض بالامة من كبوتها وتحقيق حلم التحديث المنشود ، بالرغم من ان زيادة الإنفاق على التعليم في عموم البلاد العربية والاتساع المؤسسي والديموغرافي ، فان هذا التراكم الكمي الهائل لم يصاحبه تراكم كمي ، فالبُنى التربوية جامدة لا تتحرك ، ولا يوجد فيها اي اصلاحات ، والاساليب مختلفة وقاصرة على تلبية الحاجات المعرفية المتوخاة ، والتي تكون عاجزة عن مسايرة المستجدات العلمية ، ومواكبة التطور التكنولوجي ، واستيعاب الثقافة ومواكبة تطورها المتسارع ، والمواءمة بين التكوين وحاجيات السوق ، فضلا عن اسلوبها وتكريسها للخضوع والطاعة ، وعدم تشجيعها التفكير النقدي الحر الحافز للابداع ، والاستقلال في الرأي ومشاركته مع الاخرين وبالاخص المسؤولين ؛ يضاف ايضا الى ذلك القصور عن تعميم التعليم في مختلف الفئات المجتمعية ، بالرغم من معدلات التدريس الرسمية الخيالية ، وارتفاع نسبة الضياع بين المراحل العمرية ، وذلك من خلال ترك الطلاب مقاعدهم الدراسية من حين لآخر ، والاكتظاظ ، وضعف وقلة نسبة الاساتذة الى الطلاب ، والقصور في تأهيل الاساتذة والمعلمين علميا وتربويا ، والنقص في المعدات التعليمية ، وتدني مستوى التعليم وزيادة البطالة بين شريحة حملة الشهادات .

ووفقا للدراسات القليلة المتوافرة عن نوعية التعليم ، خرج تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢ باستنتاج هو انه هناك سمات اساسية ثلاثة تغلب على ناتج التعليم في البلدان العربية هي : ((تدني التحصيل المعرفي ، وصعف القدرات التحليلية والابتكارية ، واطراد التدهور فيها)) ([٢٣]) . ولقد اكد التقرير هذا ان اخطر المشكلات في التعلم بالنسبة للبلدان العربية تتمثل في تردي نوعية ([٢٤]) وهذا التردي هو ما جعل التعليم يفقد هيبته وهدفه التنموي والانساني المتمثل في تحسين نوعية الحياة وتنمية قدرات الانسان الخلاقة .

ويبقى تدني مستوى التعليم العالي اكثر تلك العوائق المتعلقة بالمدرسة خطرا على مستقبل الابداع في الثقافة العربية ، وافتقاره الى المكتبات المتخصصة الكفيلة بتمكين المبدعين من الاساتذة والطلاب من مواكبة مستجدات العلم والثقافة الاكثر تطورا .

وغياب الرؤية المستقبلية الواضحة لبناء منظومة تربوية قادرة على مسايرة العصر وتحقيق المناعة المنشودة في وجه العولمة الثقافية الزاحفة على التعليم بصورة خاصة والحياة بصورة عامة . ويكفي بالدليل على ذلك ان الاثنتي عشرة تجربة العالمية في تربية الابداع وتشجيعه التي درسها الحوراني ([٢٥]) ليست فيها تجربة واحدة عربية للاسف ، ونجد سلبيات المنظومة التربوية هذه صداها على مستوى الانتاج الثقافي .

٣. ضحالة الانتاج الثقافي

يشكل ضعف الانتاج الثقافي المتميز ، وطغي وتراجع مستوى الجودة ، في مجالات الابداع هي عوائق مقلقة بالنسبة الى الثقافة العربية ، ويزيد من وطأة تلك الوضعية تراجع صناعة المكتوب ([٢٦]) ، وتضاؤل الاهتمام به امام ثقافة الصورة واكتساحها المتزايد للقلوب والعقول ، واستحواذها وسيطرتها على السمع والبصر ، ومخاطبتها العالم والجاهل . اذن : ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب ، اي هي الثقافة التي يثبت ميلادها وظهورها للوجود باختصار الثقافة المكتوبة ، اي هي سوى ثقافة الصورة ، على حد تعبير بلقزيز ([٢٧]) ، ثم ان غياب سوق مشتركة للمطبوعات ، والقيود التي تضعها بعض الحومات العربية على حركة المطبوعات لا تسهل تداول المكتوب ، ولا نملك معطيات احصائية دقيقة عن انتاج الكتب في العالم العربي يمكن الركون اليها ، الا ان المعطيات المتوافرة في حقل الترجمى في هذا الانتاج تظهر نقصا شديدا في واحدة من اهم قنوات نشر المعرفة والتواصل مع الآخر ((فالعالم العربي يترجم سنويا ما يقارب من ٣٣٠ كتابا ، وهوخمس ما تترجمه اليونان ، والاجمالي التراكمي للكتب المترجمة منذ عصر المأمون حتى الان يبلغ ١٠٠٠٠٠ كتابا ، وهو تقريبا ما يوازي ما تترجمه اسبانيا في عام واحد)) ([٢٨]) .

واذا كان اكبر الهم في هذا الموقف هو وصف الظواهر اكثر من ذكر اسبابها وتعليلها ، فان من اهم دواعي النقص الكيفي والكمي في الانتاج الثقافي الاكراهات الاقتصادية والسياسية واللغوية ، وخلق مردودية التأليف والنشر ، وتأثيرات العولمة ، وانتشار ظاهرة الامية ، والتسيب المدرسي ، وقلة الاهتمام من الجهات المختصة وعدم المتابعة .

٤ . ارتفاع نسبة الامية

المجتمع العربي ما يزال يعاني من تبعات الامية الابجدية والثقافة بين صفوفه ، رغم برامج محو الامية التي لم تجد لحد الان فتيلا في التغلب على هذا المرض العضال ، فلا يزال حضور هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة قويا على مستوى العرب الذين دخلوا القرن الحادي والعشرين ولديهم ٦٩ مليون اميا ، منهم ٤٢ مليوم امرأة ، ولا يتوقع لهذه الظاهرة الاختفاء بين الذكور قبل نهاية الربع الاول من القرن الحادي والعشرين ، وبين الاناث قبل عام ٢٠٤٠ ([٢٩]) . وتشكل هذه المعطيات معا مؤشرا واضحا وكافيا على فشل مشروع التنمية الشاملة العريقة ، وعقبة كاداء امام الابداع ؛في مجتمع يعيش هذا العدد من سكانه ظلمات الجهل والتخلف في عصر العلم والثقافة ، حيث يعاني قطاع الاعلام فيه من تدنٍ في المحتوى وضبابية وعدم الوضوح في الاهداف .

٥. ضحالة محتوى الاعلام وضبابية اهدافه

اتسع دور الاعلام بشكل لم يسبق له مثيل في عصرنا الحاضر ، وازداد تأثيره ليشمل العالم بأسره لفضل مئات الاقمار الصناعية وشبكات الاتصال الالكترونية ، وانهيار كل الحواجز امام ثورة الاتصالات هذه ، وقد تم اختراق كل المواقع ، ودخلت البشرية في عصر كله حضارة وهي عبارة عن الصور والتلاعب بالزمان والمكان ([٣٠]) .

وما زال المقيمون على الاعلام العربي يحاولون الممانعة دون الاستفادة من الجانب الايجابي من ثورة الاتصالات في وقت اصبحت فيه حرية اي مجتمع تقاس بمدى حرية اعلامه ، وهذا دليل قاطع ومؤكد على انه لا يوجد في اي بلد عربي اعلام حر بمعنى الكلمة ([٣١]) .

وعموما ان الاعلام العربي والرسمي منه بوجه الخصوص يتسم بالمضمون السطحي ، وتغلب عليه نزعة الترفيه والتدجين السياسي والايديولوجي ، ويعاني الفقر في وسائله المادية والبشرية ؛فهو بذلك يعزز تبعيته وفقدانه المناعة ، ويحول دون قيامه بدوره التثقيفي والاعلامي المطلوب ، ويكفي الاشارة ان شبكات التلفزة العربية تستورد ما بين ثلث واكثر من نصف اجمالي بثها ([٣٢]) ؛وهذا يسبب ارباك للمشاهد وفي الوقت نفسه متعة المشاهدة اي الازدواجية .

ولقد اكد برنامج الامم المتحدة الانتمائي لعام ٢٠٠٣ اهمية وسائل الاعلام في نشر المعرفة ، واوجز في تقسيمه لواقع الاعلام العربي قائلا ((ما زال الاعلام العربي ، ووسائط النفاذ اليه ، وبنيته التحتية ومضمونه ، يعاني الكثير بشكل عام ، مما يجعله دون مستوى تحدي بناء مجتمع المعرفة ... والصحافة في اغلب البلدان العربية محكومة بيئة تتسم بالتقييد الشديد لحرية الصحافة والتعبير عن الرأي ، وتكشف الممارسات الفعلية في العديد من الدول العربية عن انتهاكات مستمرة لهذه الحرية ؛ سواء بإغلاق بعض الصحف او ضبطها ومصادرتها او تعطيلها ، ويتعرض الصحفيون في كثير من الدول العربية للحبس ، وتشديد العقوبات في قضايا الرأي والنشر ، والتوقف عن ممارسة المهنة وما يزال اسلوب ملكية الدولة هو السائد . خاصة فيما يتعلق بالاذاعة والتلفزيون ([٣٣]) .

وتمثل الدور الاساسي لمعظم وسائل الاعلام العربية في اضفاء الشرعية على الانظمة القائمة برموزها السياسية وخياراتها الآنية . ومن هنا كان التركيز على عنصر الترويج والدعاية السياسية والايديولوجية الرديئة الاخراج ، وقلة

الاهتمام بمشكلات الناس الجوهرية من اكبر دواعي عزوف هؤلاء عما تبثه وسائل الاعلام الوطنية واللجوء الى متابعة الوسائل الاجنبية .

ولقد تسببت محاولات التوثيق العصي بين هموم الانظمة الحاكمة ، ومتطلبات الواقع العربي المقيد ن واكراهات العولمة، في ضبابية اهداف الاعلام العربي .

ومن شأن هذا الوضع ان يقود الى اعاقة ان يقوم الاعلام بالدور المنوط به في النهوض بالثقافة العربية وتشجيع الابداع ، بل من شأنه ايضا ان يهدد في الصميم وجود هذا الكلام نفسه اذا لم يرتفع الى مستوى التحدي ويتأقلم مع ثورة الاتصالات الراهنة المتعددة الابعاد ، ولعل تجربة الصحافة العربية المهاجرة المطبوعة بالاقمار الصناعية ، وظهور الفضائيات الجادة في رؤيتها للقضايا العربية وتناولها تجربة وتبصر اكثر ، تعطي بارقة امل في انتشال اعلامنا من الهاوية الرديئة والتوظيفات الايديولوجية الضيقة .

٦. وطأة الايديولوجيا

لم تعاني الثقافة والابداع العربيان اكثر مما عانيا من هيمنة الايديولوجيا والسياسة ، فالحضور الكبير لها في الساحة العربية ادى ذلك الى سحق الابداع والمبدعين في الوقت نفسه ، وتكبيل عقولهم بقيود الواجبات والمستحبات والمحرمات والمكروهات وما تم السكوت عنه قسرا ، مع هذا الوضع يستحيل التفكير العقلاني الحر الرصين والضروري لاية عملية ابداعية ،حيث لا سبيل الى هذا النوع من الاحتكام الحر الى سلطان العقل دون ان يتوفرمناخ ثقافي حيث يرفض الاكراه الفكري والسياسي والاجتماعي تحت اي ذريعة كانت .

ثانياً : المعوقات الاجتماعية والسياسية

ان المعوقات الاجتماعية والسياسية تمثل حجر الزاوية في عوائق الابداع للثقافة العربية وبدون مغالاة ، حيث تتمثل اهم هذه المعوقات على هذا الصعيد في واقع التخلف ، والبنية العشائرية العربية ، والرقابة على حرية التفكير والتعبير ، والاستبداد السياسي والتسلط الامني ، وغياب المشروعية السياسية والانكشاف الامني كما اسلفنا ، والتبعية الفكرية والاختراق ، وتراكم الاحباطات والافراط في الثقة بالذات .

١. واقع التخلف الاجتماعي

المجتمع العربي يعاني من التخلف في بناء الذهنية والاجتماعية ، وتتعايش فيه بشكل غريب انماط انتاج مختلفة ، سواء كانت تقليدية او حديثة ، ومن الجدير بالذكر والتذكير انه لا مستقل للثقافة العربية ولا سبيل للنهوض بالابداع دون النهوض بالمجتمع العربي ، فقد برهنت المجتمعات المتطورة عبر تاريخها الثقافي على انه لا مستقبل للثقافة في دفع عملية التحديث بدون ان يعيش المجتمع تغييرا اجتماعيا عميقا جدا ([٣٤]) .

واذا كان من شأن الاختراق المعرفي للواقع الذهني ان يذلل العوائق الذهنية ، فان البُنى الاجتماعية اشد صلابة وابطأ حراكاً ، فالبنية العشائرية العنيقة ما زالت تتحكم في روابط الولاء ، وتعمل على تفعيل فعلها في الواقع العربي . وتسمه

بميسها الخاص ، رغم التغيير الحاصل في الاسس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي انجبتها اصلا ، وتبقى القرابة . وغيرها من روابط الولاء القبلية . من اهم اليات ومظاهر التضامن والتآزر ، في هذا المجتمع الذي ما يزال فيه حضور اجتماعي وسياسي كبير للقبيلة او ما في معناها .

ما زال هذا الموروث الاجتماعي عصياً على الاختراق ، ويقف عائقاً منيعاً امام قيام مجتمع مدني منتظم فيه علاقات الافراد والجماعات على اسس ديمقراطية وتحترم حرياتها الاساسية . وتزداد اللوحة اسودادا اذ تذكرنا المجموعات المنتظمة على اساس عرقي ، او طائفي للدفاع عن خصوصيتها الثقافية في ظل انعدام الحريات السياسية والتسلط الامني .

٢. غياب الحريات والاستبداد السياسي والتسلط الامني

من المتعارف عليه ان مصادرة الحريات ، والاستبداد السلطوي وما يتولد عنهما من اغتيال للعقل المبدع ، وتثقيل لكاهل الانسان ، والنيل من قيمه الاخلاقية ، اكبر العوائق امام الابداع الثقافي العربي .

أ. الرقباء ومصادرة الحريات

منذ امد بعيد والانسان بشتى بقاع الارض وبالاخص الانسان العربي من المصادرة الخفية والصميمية او الصريحة لحرياته بصورة عامة ، وفي مجال الاداء الثقافي خصوصا من تعبير وتفكير ونشر(٣٥) ، ويقوم بهذه المهمة جيش من الرقباء المختصين في اكثر مجالات الفكر حيوية ، فهناك مثلا الرقيب السياسي او الامني ، والرقيب الديني ، والاجتماعي ، ومن هؤلاء الرقباء يتولد رابعهم وهو الرقيب الذاتي(٣٦) ويزيد تعدد هؤلاء الرقباء من فقد روح المبادرة والابداع ، بل ومن قهر العقل وانتقاد الابداع .

ب . الاستبداد وقهر العقل الثقافي

لقد اوضح الجابري بجلاء في دراسته للعقل الاخلاقي العربي كيف ساد الاستبداد واخلاق الطاعة الثقافة العربية الاسلامية منذ ان قال الامويون بضرورة الطاعة ، وربطوا بين وحدة الدين والملك ، وجعلوا طاعة صاحب الدولة من طاعة الله ، وذلك للخروج من ((ازمة القيم ... التي افرزتها الفتنة الكبرى)) وتكرس ذلك الاتجاه بدمج قيم الطاعةالفارسلامية عبر سيرورة تاريخية)) (٣٧) ووصل الامر مع الطاهر لبيب الى حد الحديث عن منظور الطاعة الذي رافق الممارسة السياسية والاجتماعية العربية منذ بدايات العولمة الاموية (٣٨) لتكريس مضمون الولاء للسلطة .

فالاستبداد هو السمة السياسية الغالبة والسلوك الشائع في المجتمع العربي المعاصر . وفي نظم الحكم والادارة وفي الحالة الاجتماعية ، وفي الاسرة والمدرسة ، ومن هنا وهذا المنطلق فان الثقافة العربية مشبعة بمضامين الاكراه والتسلط وسيادة الرأي الواحد سواء على مستوى الاسرة او المدرسة او المجتمع او الدولة ، وان غاية هذه المجموعة القمعية ، المنافية لأي عقل مبدع او لفكر ناقد ، هو غرس نظام الولاء المطلق وروح الطاعة العمياء في الانسان العربي وتدجينه .

ج . التدجين وتراجع القيم الاخلاقية

ان من ابرز المظاهر السلبية لقهر العقل الامني للعقل الثقافي تدجين المثقفين تحت ذريعتي الخوف والطمع ، وسلوكهم المخل بالمثُل الاخلاقية ، التي ينبغي لهم التحلي بها في ظل واقع عربي تراجعت فيه القيمة الاجتماعية العليا للعالم والمثقف لصالح المادة ، وان للمثقف العربي هنا في هذ الحال ثلاث حالات : فهو اما ان يضطر الى الهجرة بذلك يخسره بلده ، واما ينعزل على نفسه ومعتقده وكرامته فلا يكون له دور في المجتمع ، واما ان يرضخ للضغوط المادية والمعنوية وبذلك يصبح اداة بيد السلطة وطوع ارادتها تتحكم به كيف تشاء ، ويكون لا صلة له بقيم المثقف ومُثله ، وفي الحالات الثلاث يكون الابداع معدوما ، ويكون العقم وتولد العلاقة بطموحات المجتمع ومُثله ، حيث ستفقد بضاعته اصالتها لانه لم تعد ابداعا وتمردا وسعيا نحو الافضل ، وانما اصبحت استنساخا وخنوعا ورضاء بواقع التخلف الثقافي والتشرذم السياسي والانكشاف الامني .

٣ . التشرذم وغياب المشروعية السياسية والانكشاف الامني

مما لا جدال فيه هو ان العالم يعاني من التشرذم السياسي المعوق ، وضبابية في اهدافه بالكامل وغياب المشروعية السياسية ، ويكفي لادراك تأصل ظاهرة التجزؤ وضبابية الاهداف ، انه لم يتم التوصل منذ انشاء الجامعة العربية الى صيغة جامعة توازن بين التنوع والتجزؤ والتوحد ، وان مؤتمر مستقبل الثقافة العربية في عام ١٩٩٧ لم يستطع ان يخرج ببيان مشترك وان ما نسبته ٨٠% من القرارات العربية التي تمت الموافقة عليها بالاجماع لم يتم تنفيذها خلال السنوات الخمس التي تلت اصدارها ([٣٩]) .

اما من الناحية الامنية فان العالم العربي من اكثر المناطق اختراقا من الخارج وذلك لموقعه وثرواته الطبيعية ، واحتضانه لاستعمار غريب من الاستيطان ولَد حروبا وصراعات مريرة ما تزال ليس لها حل .

واذا كان اختراق المنطقة العربية في المستويات السياسية والاقتصادية والامنية قم تم ، فان انجاز اختراقها على المستوى الثقافي هو الهدف الذي تسعى اليه قوى الهيمنة العالمية حاليا ، وتوظف من اجل ذلك اكثر من طريقة لعل اكثرها جلاء واقلها بالتالي خطورة هو تغير المناهج .

وهنا تكمن اهمية المكون الثقافي لانه اكثر المستويات تماشيا مع تاريخ الانسان العربي وهويته ووجدانه ومعتقده الاسمى ، كما انه يمثل خط دفاعنا الاخير الذي يتوجب تحصينه والدفاع عنه حفاظا على خصوصيتنا الثقافية . وبالتاكيد هذا لن يتحقق ما لم نحرر العملية الثقافية من هيمنة السياسة الرسمية ، واتباع منهجا عقلانيا في التعامل مع موروثنا الثقافي ، والانفتاح الايجابي على مستجدات العصر في اطار تواصل مبدع مع الحضارات الاخرى هذا سوف يجنبنا مزيدا من تراكم الاحباطات .

٤. الافراط في الثقة وتراكم الاحباطات

بالتاكيد ان الافراط في الثقة بالنفس وتراكم الاحباطات يشكل عائقا للابداع والنهوض بالثقافة العربية ، فالافراط في الثقة بالذات والتغني بامجاد الامس في الواقع العربي الراهن هما نوعان من الهروب اللاعقلاني من وطأة واقع اليوم نحو مجد آفل ، في محاولة انهزامية للتعويض ، اما الاحباط الناجم بدوره عن الشعور بالمرارة في الواقع العربي الراهن

، فهو قياس الحرب لحالهم بحال امم اخرى قد حققت في مضمار النهضة والتقدم اكثر مما حققوا ، ثم قياس واقعهم الراهن باحلامهم بالامس : اي احلام النهضة والثورة (٤٠) : وهو قياس لا يراعي الفوارق ن فالعوامل الخارجية وحدها كفيلة باحباط مشروع النهضة بدءا بالاستعمار الاوروبي وانتهاء بالاهمية الاستراتيجية للمنطقة التي يجعلها محط انظار مختلف القوى الدولية المتنافسة على التحكم في ثرواتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي .

ثالثا. العوائق الاقتصادية

ان كسب رهان التنمية البشرية ودخول عصر العلم والثقافة قد شكل تحديا خطرا يتعين على الامة العربية رفعه اذا ارادت ان يكون لها شأن في عالم تآكلت فيه الحواجز واخترقت كل المواقع ،ويشكو الواقع العربي الراهن من فشل ذريع في مشاريع التنمية ، وتخلف تقني وعلمي كبير لا سبيل في ظله الى الحديث عن الابداع وتشجيعه .

١. فشل مشاريع التنمية

لقد واجهت مشاريع التنمية العربية عوائق ذاتية وموضوعية ، واصابها ما اصابها من اخفاق ذريع ، وتعددت النماذج التنموية العربية بتعدد مصادر الايماء وهموم المرحلة دون اهتمام كبير بالاستجابة لخصائص الواقع العربي المعيش ، وضرورة المواءمة بين ابعادها الاقتصادية ، وابعادها الاجتماعية ، وانتهاء الامر بتلك التجارب الى الفشل والتراجع من حلمها القومي الى المنطق القطري ، ومن المشاريع الكبرى الى الصناعات التحويلية ، واتخاذ الشراكة التصديرية نهجا وتقليص دور الدولة الاجتماعي (٤١) .

ولم يحقق ذلك التوجه مبتغاه ، اذ اجمع المختصون على ان التنمية العربية تمر في الوقت الراهن بمرحلة ازمة تتجلى مظاهرها في تباطؤ نسبة النمو الاقتصادي ، وتفاقم سوء التوزيع في الثروات والدخول واستفحال آفة البطالة ، والاخفاق في تلبية واشباع الحاجات لغالبية السكان ، وتكريس التبعية الاقتصادية والاستغلال (٤٢) .

يتجلى الناتج الاقتصادي العربي هو اقل من دخول دولة اوربية واحدة . وهبطت انتاجية الفرد في البلدان العربية الى اقل من نصف انتاجية الفرد في كوريا الجنوبية بعد ان كانت تتجاوزها قبل ثلاثين عاما (٤٣) .

وعلى الرغم من استثمار الحكومات العربية ما يزيد على ثلاثة الاف مليار دولار في تنمية رأس المال الثابت الاجمالي على مدى العشرين سنة الماضية (٤٤) وتوظيف مبالغ هائلة في الموارد البشرية ، فان هذا المجهود الضخم لم يعط الحل سبب غياب الاطار المؤسسي والتنظيمي اللازم لاحتضانه وانعدام رؤية تنموية ((يتجاوز مفهوم التقدم فيها معدلات النمو والانتاج والتصدير ليقترن بمشروع انساني يؤسس للاقتران (٤٥) ويجعل الانسان غاية ووسيلة اية عملية تنموية ويُسخر من اجله بصفة مبدعة العلم والتقنيات .

٢. التخلق التقني وضعف البحث العلمي المؤسسي

يشكل التخلف التقني والضعف المؤسسي للبحث العلمي واحدا من ابرز مظاهر الاخفاق في مشاريع التنمية البشرية العربية ، فلم يستطع العرب بناء قاعدة علمية وتقنية تمكنهم من مواجهة التحديات المحيطة بهم، وايقاف تراكم الاحباطات التي واكبت مشروع النهضة واعاقت التحديث المادي والفكري المبدع للمجتمع والثقافة العربيين.

أ. التخلف التقني وتحدي الثقافة

اصبحت التقنية مفهوما مهما للثقافة ، ووسيلة اساسية للاستفادة من ايجابيات العولمة ، والصمود في وجه جوانبها السلبية النزعة العدوانية والاقصاء ، والسعي الاعمى وراء الربح ، والفساد الخلقي : و((يصاب المرء بالدهشة عندما يكشف ان الاقطار العربية لم تكتسب بعد القدرات الثقافية المعضلة بأي من الثورات الصناعية السابقة)) ([٤٦]) .

فقد اهملت هذه الاقطار انشاء منظومات وطنية للعلوم والثقافة واعتمدت التعاقد الاجنبي على المشاريع الجاهزة التي لا تتيح ادنى درجة من نقل الثقافة ، ولعلنا نضع النقطة هنا على الخطأ من الذي هو من مدح الاخطاء التي ارتكبتها البلدان العربية في استراتيجيتها التنموية . ومن الاثار السلبية الناجمة عن ذلك ارتفاع تكاليف المشاريع وغياب الانسجام بين مواضيعها ومنفذيها ، وتعطيل القدرات الاستشارية الفردية والمؤسساتية الوطنية ، وزرع الصلة بين مؤسسات البحث والتطوير ومؤسسات الانتاج الذي لعب دورا مهما في حجرة الادمغة العربية ، وبذلك فقدت المنظمة الخبرة من قدراتها الابداعية وكفاءاتها العالية ([٤٧])

وهذا الزهد في الخبرة العلمية هو ما قصده اسماعيل صبري عبد الله ([٤٨]) حين قال ، في معرض حديثه عن ضرورة ((بناء قاعدة علمية وثقافية وطنية قادرة على تطويع المستورد من التقنيات وتحديث ما هو قديم عندنا وابداع حلول تقانية جديدة ، ان المشكلة الاساسية هي ندرة الطلب الاجتماعي على منتجات العلم والثقافة ولكن الامر والادهى من ذلك كله ان الهوة في مضمار الثقافة تتسع بسرعة فائقة ، وهنا تكمن احدى المعوقات الكبرى للابداع العربي في مجال الثقافة والبحث العلمي .

ب . الضعف المؤسسي للبحث العلمي ومحدودية الانفاق عليه

ان الدول العربية تأتي في مرتبة متأخرة في مجال البحث العلمي والتطور الثقافي ، اذ يشكو هذا البحث ما يشكوه الواقع العربي عموما من تخلف وضيق ذات يد . ولا يتعلق الامر بالنقص الكمي في الخبرات العلمية ومؤسسات البحث . وانما بالنقص الكيفي وضعف الامكانات المادية ، وتخلف البرامج الواضح من الفجوة الكبيرة بين المقررات الاكاديمية العربية والمقررات الغربية التي تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة ([٤٩]) اكدت ابحاث زحلان ([٥٠]) اوجه النقص التي يعانيها البحث العلمي في العالم العربي ؛ سواء على مستوى مؤسسات البحث وتجهيزاتها ، او توثيق الروابط فيما بينها ، وعدم ارتباطه بالصناعة وغياب التنسيق بين العلماء ، وعدم كفاية الدوريات العلمية انطلاقا من معايير مؤسسة المعلومات العلمية ؛ والنقص في متابعة ما يجري في مجالات البحث العلمي العالمي ، وضعف رواتب الباحثين والاساتذة الجامعيين في معظم البلاد العربية ، وتدني الخدمات الداعمة للبحث ومستوى تحويله ، وهجرة الادمغة ومحدودية النشر العلمي ، وهذا النقص بسبب عدم كفاية الاموال المنفقة على البحوث الاساسية

انطلاقا من الرأي القائل ان موارد العالم الثالث اقل من ان يتم تبذيرها في تمويل بحوث من هذا النوع ، وقال : ((ان هذا السلوك يقوض نظام التعليم العالي برمته؛ اذ ان نظاما تعليميا لا يتوقع من اساتذته الجامعيين ان يكونوا علماء وباحثين لا ينتج سوى خريجي جامعات من الطراز القديم ويسهم في عدم نفع اساتذته)) ([٥١]) .

وان تقرير التنمية الانسانية العربية لعام ٢٠٠٢ ذلك الرأي حين قال ان التمويل للبحث في العالم العربي يعدُ اكثر المستويات انخفاضا في العالم ([٥٢]) .

واعتبر صبري عبد الله انه طالما اصحاب القرار لا يدركون اهمية البحث العلمي والثقافي المحلي وضرورة تنشيطه وتفعيله ، والارتقاء بمستواه والاستفادة منه ويهتمون بشراء البحوث الجاهزة من الخارج بحيث لن يكون لدينا اية قاعدة علمية منشودة ([٥٣]) . وهناك الكثير من المؤشرات الملموسة على ضعف البحث العلمي وتواضع الانفاق عليه في العالم العربي ، بالرغم من ان الدول العربية تقع ضمن المجموعة المتقدمة من الدول النامية من حيث عدد المنشورات العلمية .ويمثل العالم العربي المرتبة الاخيرة من حيث المواقع على الشبكة العالمية ، ومن حيث مستخدمي شبكة الانترنيت .

والادهى والامر ان ((مؤسسات البحث العلمي اخضعت للاستراتيجيات السياسية وللصراع على السلطة ، وقد قدمت مقاييس الولاء في اداء هذه المؤسسات على مقاييس الكفاءة والمعرفة ، وقيدت الحريات الفكرية والسياسية للباحثين ، مما اسهم في تكبيل تاعقول الحية واخماد الجذوة والمعرفة وقتل لحوافز الابداع)) ([٥٤]) ، وفي وضع مثل هذا من الصعب التصور ان يتفتق الابداع العلمي ذي المردودية المادية والمعنوية .

٣ . ضعف مردودية الابداع وعدم تشجيع اصحابه

مما تقدم يتضح من عوائق ان طريق الابداع العربي غير سالكة ، وان بضاعته غير رابحة في الوضع الراهن ، فالزهد في خيرات المبدعين العلمية والفنية ، وضعف المنتج الثقافي وقلة الطلب عليه ، ومنافسة الاعلام المرئي الاجنبي ، تشكل عوائق حقيقية امام رواج العمل الابداعي وتحد من مردوديته ، وعلى الرغم من وجود اساليب مختلفة لتكريم المبدعين في العالم العربي مثل منح جوائز ، نشر المؤلفات ، اقامة حفلات وندوات وغيرها . فانها لا تزال قاصرة عن ان تشكل حوافز حقيقية للابداع العربي ، وتشوبها نواقص كثيرة مثل مشاكل معيارية التكريم وطابعه القطري الطاغي ، وآمنيته وعدم استمراره ، وامراض المعاصرة والتركيز على المبدعين في آخر مراحل عطائهم . ان لم يكن بعد مماتهم . او على الجانب المادي اكثر من المعنوي وتأثرها بالعوامل السياسية احيانا .

وتبقى رعاية الابداع والمبدعين قضية اساسية في العالم العربي ، اذ يرى البعض ان المجتمع العربي ليست له ((يد طولى في تألق مبدعيه ، لكنه يعين دائما على وأد الموهوبين ، وحجب المبدعين عن الانتقال الى العبقرية)) ([٥٥]) .

وارتأينا مما تقدم ذكره الكشف عما عنَ وخص لنا من عوائق ذاتية جمة تعترض الابداع في الثقافة العربية بوصفه الخطوة الاولى على طريق معالجة مواطن الخلل في انفسنا وثقافتنا ، وإعادة بنائها وتحديثها من الداخل حتى تكون مؤهلة للابداع .

الاستنتاجات

١. لا شك في ان تلك الظواهر وما لها من انعكاسات مختلفة على الواقع الثقافي العربي ما تزال بحاجة الى المزيد من الدراسات والتمحيص الدقيقين .

٢. الطريق لم تتمهد سبله في الساحة العربية بعد

٣.. فقد اوقعنا التهمة على تحميل الآخر مسؤولية ما يلحق بنا من اذى وما نعانيه من ضعف .

٤. بالاضافة الى غض الطرف عما بداخلنا وانفسنا ؛ في حين انه قد يكون قد آن الاوان لتشخيص ما بنا من داء تشخيصا موضوعيا واستنهاض الهمم لعلاجها هذا اذا كنا نريد طبعا البقاء مفعولا بنا ومكتفوا الايدي .

٥. ويجب علينا ان نكسب المستقبل من خلال الرهان عليه من خلال الاسهام وبفاعلية في سوق المعرفة والقيم الثقافية المبدعة في عالم لا مكان فيه لغير القوي المبدع بالتأكيد .

ويبقى الابداع العربي اسير المعوقات الذاتية (الداخلية) والخارجية الجارفة ما لم يتم وضع استراتيجية شاملة وصحيحة لمواجهتها تتجاوز كشفها وفحصها وتحليلها الى مواجهتها بثبات وثقة بالنفس ، والاستغلال الامثل للمقدرات ، وتوظيفها وتحكيم العقل والعلم والايمان ، الى جانب الانفتاح وعدم التقوقع والانكفاء على الذات ، من اجل تحقيق هذا كله فان هذه الاستراتيجية تتطلب فضلا عن ذلك رؤية صحيحة لنا وللآخر وللطبيعة ، وتكون بعيدة كل البعد عن التعصب العرقي والمذهبي والديني ، والانجراف وراء العواطف والمشاعر ، الى جانب ذلك ايضا تتطلب المرونة في غير الثوابت العقدية والثقافية .

التوصيات

١. ينبغي ادراك حقيقة ان العولمة ظاهرة ينبغي استيعابها في ابعادها المختلفة للاستفادة من جوانبها الايجابية ، والتصدي ومواجهة ابعادها السلبية .

٢. تحديد معوقات الابداع هو الخطوة الاولى مع وضع خطة للنهوض هدفه النجاح .

٣. يجب ان تتكاتف الجهود وتتضافر في مختلف مجالات الدراسات ؛ لان الظاهرة ليست بالقليلة ولا يمكن مقابلتها بعدم الاهتمام او اللامبالاة .

المصادر والمراجع

اولاً:. الكتب العربية

١. اسماعيل صبري عبد الله ، العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية ، العرب والعولمة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨

٢. ابو بكر ابن العربي : العواصم من القواصم ، الجزائر ، الجزء ١ ، د.ت

٣. السيد احمد مصطفى عمر : اعلام العولمة وتأثيره في المستهلك / مجلة المستقبل العربي ، العدد٢٥٦ ، بيروت ، ٢٠٠٠

٤. برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، نحو اقامة تجمع المعرفة ، عمان ، المطبعة الوطنية .

٥. برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢ ، خلق الفرص للاجيال القادمة ، ط٣ ، عمان ، الاردن للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢

٦. حبيب الجنحاني : مستقبل الثقافة العربية في ضوء الظروف الاقليمية والدولية الموحدة ، المجلة العربية للثقافة ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد ٣٠ ،١٩٩٦ .

٧. طيب تيزيني ، الاشكالية الابداعية عربيا ، في الثقافة والابداع التونسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٢

٨. عالي مهدي ، القابلات الابداعية المطلوبة لدراسة العمارة وممارستها ، مجلة التعريب ، دمشق ، العدد ٥، ١٩٩٣

٩. علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٧ .

١٠. علي حرب : مداخلات : مباحث نقدية حول اعمال محمد عابد الجابري : حسن مروة هشام جعبيط ، عبد السلام بنعبد العالي ، سعيد بنسعيد ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٥

١١. عبد الاله بلعزيز : العولمة والهوية الثقافية ، عوملة الثقافة ام ثقافة العولمة ؟ ، العرب والعولمة ، ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩

١٢. سمر روحي الفيصل : تكريم المبدعين العرب في ضوء التجارب القطرية والقومية في العالم العربي ، في الثقافة والابداع ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٢

١٣. محمد بن علي بن محمد التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الجزء ١ ، ١٩٨٨ ،.

١٤. محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٦.

١٥. محمد بن مالك : تسهيل العوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق وتقديم : محمد كامل بركات ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧

١٦. محمد عابد الجابري :العقل الاخلاقي العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١

١٧. محمد عابد الجابري : المشروع النهضوي العربي ، مراجعة نقدية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٦

١٨. محمد الاطرش : العرب والعولمة : ما العمل ؟ ، في العرب والعولمة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨

١٩. محمد الطالبي عيال الله : افكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالاخرين ، تونس ، دار سراس ، ١٩٩٢

ثانياً: الدوريات

١. بهجت قرشي : تراكم الانكشاف الاستراتيجي العربي ، واهمية البعد الثقافي المهمل ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٧ ، بيروت ، ٢٠٠٢

٢. رندة اليافي الزهري : الابداع الاداري في ظل البيروقراطية ، مجلة عالم الفكر ، العدد٣، المجلد ٣٠، ٢٠٠٢ .

٣. سعيد عبد الله حارب : مثقف العربي والتطورات الثقافية ، افاق المستقبل والدور المتوقع ، مجلة البحرين الثقافية ، العدد ٣٠ ، ٢٠٠١

٤. طارق عبد الله: التنمية مطلب حضاري ام استمرارية وهم ؟ ، رؤية نقدية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٤٦ ، بيروت ، ١٩٩٩

٥. فهمية شرف الدين : الواقع العربي وعوائق تكوين المجتمع المدني ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨ ، ٢٠٠٢

٦. محمود الذوادي ، العوامل الذاتية لميلاد الفكر الريادي الخلدوني في ضوء علم الابداع الحديث ، مجلة التجديد ، ماليزيا ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٩٧.

٧. نبيل دجاني : البعد الثقافي والاتصال في ضوء النظام العالمي الجديد ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد ٢٢٤ ، ١٩٩٧

٨. يحيى الرخاوي : جدلية الجنون والابداع ، مجلة فصول ، القاهرة ، العدد ٤ ، المجلد ٦، ١٩٨٦ .

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

١ . محمد عبد اليمي : الجمع بين النظرية والابداع عند الشعراء النقاد المعاصرين العرب ، اطروحة دكتوراه دولة في الآداب ، جامعة تونس الاولى ، كلية الآداب ، ١٩٩٥ . ١٩٩٦ .

الهوامش

[١] ـ برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، نحو اقامة تجمع المعرفة ، عمان ، المطبعة الوطنية ، ص١١٣ .

[٢] ـ ينظر :بهجت قرشي / تراكم الانكشاف الاستراتيجي العربي ، واهمية البعد الثقافي المهمل ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٧ ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٥٥ ، ٦٩

[٣] ـ طيب تيزيني ، الاشكالية الابداعية عربيا ، في الثقافة والابداع التونسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٢ ، ص١٧١ . محمود الذوادي ، العوامل الذاتية لميلاد الفكر الريادي الخلدوني في ضوء علم الابداع الحديث ، مجلة التجديد ، ماليزيا ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٩٧.

[٤] ـ مصدر نفسه : ص١٧٢

[٥] ـ psychology,schaums outline series,amof.witig,Introduction to cmcgra-hill,1977,257. نقلا عن :عالي مهدي ، القابلات الابداعية المطلوبة لدراسة العمارة وممارستها ، مجلة التعريب ، دمشق ، العدد ٥، ١٩٩٣ ،ص١٠٧ .

[٦]- انظر : . stephwn p. robbins,organizational behavior cnew jersey,nj.prentice hall international inc,1998نقلا عن : رندة اليافي الزهري : الابداع الاداري في ظل البيروقراطية ، مجلة عالم الفكر ، العدد٣ ، المجلد ٣٠ ، ٢٠٠٢ ، ص١٤٤ .

[٧]- محمد حبيب الحوراني ، مرجع سابق ، ص١٤٤ .

[٨]- يحيى الرخاوي : جدلية الجنون والابداع ، مجلة فصول ، القاهرة ، العدد ٤ ، المجلد ٦، ١٩٨٦ ، ص٣٥ .

[٩]- محمد عبد الحي ، مرجع سابق ، ص٣ .

[١٠]- نفسه : ص٤ .

[١١]- علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٧ ،ص٢٨ .

[١٢]- ينظر:محمد بن علي بن محمد التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الجزء ١ ، ١٩٨٨ ، ص١٨١ .

[١٣]- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٨٦ ، ص ٢٥٧ - ٣٩١ ،٥٧٤ - ٥٧٥ ، ٢٥٨ .

[١٤]- نفسه : ص٢٦٤

[١٥]- نفسه : ص٥٧٤

[١٦]- علي حرب : مداخلات : مباحث نقدية حول اعمال محمد عابد الجابري : حسن مروة هشام جعبيط ، عبد السلام بنعبد العالي ، سعيد بنسعيد ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٥ ، ص٢٢ - نقلا عن : السيد ولداياه : ازمة التنوير في المشروع الثقافي العربي المعاصر (اشكالية نقد العقل نموذجا) ، في قضايا التنوير والنهضة في النقد المعاصر ، بيروت ، مركو دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ ، ص١١٠

[١٧]- محمد عابد الجابري : مصدر سابق ، ص٥٨٢

[١٨]- ابو بكر ابن العربي : العواصم من القواصم ، الجزائر ، د.ت ، الجزء ١ ، ص٦٤

[١٩]- محمد بن مالك : تسهيل العوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق وتقديم : محمد كامل بركات ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص٢

[٢٠]- فهمية شرف الدين : الواقع العربي وعوائق تكوين المجتمع المدني ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨ ، ٢٠٠٢ ، ص٤٦

[٢١]- عبد الاله بلعزيز : العولمة والهوية الثقافية ، عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة ؟ ، العرب والعولمة ، ط٢ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٩ ، ص٣١٣

[٢٢]- ينظر: برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، ص٣

[٢٣]- برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢ ، خلق الفرص للاجيال القادمة ، ط٣ ، عمان ، الاردن للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، ص٥

[٢٤]- ينظر : المصدر السابق : ص٣

[٢٥]- محمد حبيب الحوراني : مصدر سابق : ص٣

[٢٦]- ينظر :وفق تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، ص٧٨

[٢٧]- ينظر :المصدر السابق : ص٣١٤

[٢٨]- برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢ : مصدر سابق : ص٧٦ - ٧٧

[٢٩]- سعيد عبد الله حارب : مثقف العربي والتطورات الثقافية ، افاق المستقبل والدور المتوقع ، مجلة البحرين الثقافية ، العدد ٣٠ ، ٢٠٠١ ، ص١٧٧

[٣٠]- ينظر :السيد احمد مصطفى عمر : اعلام العولمة وتأثيره في المستهلك / مجلة المستقبل العربي ، العدد٢٥٦ ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٨١

[٣١]- ينظر :برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي تقرير التنمية الانسانية للعام ٢٠٠٢ : مصدر سابق ، ص١١٣

[٣٢]- ينظر :نبيل دجاني : البعد الثقافي والاتصال في ضوء النظام العالمي الجديد ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد ٢٢٤ ، ١٩٩٧ ،ص٦١

[٣٣]- ينظر : برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي تقرير التنمية الانسانية للعام ٢٠٠٢ : مصدر سابق ، ص٣

[٣٤]- حبيب الجنحاني : مستقبل الثقافة العربية في ضوء الظروف الاقليمية والدولية الموحدة ، المجلة العربية للثقافة ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد ٣٠ ،١٩٩٦ ،ص٦٧ .

[٣٥]- ينظر :ما تزال تلك

[٣٦] - ينظر :محمد عابد الجابري :العقل الاخلاقي العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١، ص١٣١- ٢٤٥

[٣٧] - فهمية شرف الدين : مصدر سابق ، ص٤٧

[٣٨] - بهجت قرني : مصدر سابق : ص٦٣

[٣٩] - ينظر :محمد عابد الجابري : المشروع النهضوي العربي ، مراجعة نقدية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٦ ، ص١٧١

[٤٠] - ينظر:محمد جابر الجابري : المشروع النهضوي العربي / مراجعة نقدية ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٦ ، ص١٦١

[٤١] - ينظر: طارق عبد الله: التنمية مطلب حضاري ام استمرارية وهم ؟ ، رؤية نقدية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٤٦ ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٦- ٢٣

[٤٢] - ينظر: محمد الاطرش : العرب والعولمة : ما العمل ؟ ، في العرب والعولمة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ ، ص٤٣٠ - ٤٣٢

[٤٣] - ينظر: يشكل غياب البيئة المجتمعية والامكانات الضرورية لقيام الكفاءات بدورها المنشود في منظومة المعرفة وفي نهضة المنطقة ، وتحقيق الذات وتوفير اسباب العيش الكريم ، اهم اسباب تلك الهجرة التي بلغت ٢٥% من خريجي المرحلة الجامعية الاولى في العام الدراسي ١٩٩٥ - ١٩٩٦ الذين توجهوا الى امريكا الشمالية ودول السوق الاوربية المشتركة ، في حين غادر اكثر من ١٥٠٠٠طبيب عربي الى الخارج بين عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٠ حسب تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، ص١٤٣.

[٤٤] - ينظر: اسماعيل صبري عبد الله ، العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية ، العرب والعولمة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ ، ٣٧٧

[٤٥] - ينظر:زحلان : تحديات الصناعات الناضجة ، مصدر سابق ، ص٣٤

[٤٦] - م . ن : ص٩١

[٤٧] - برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٢ ، ص٦١-٦٢

[٤٨] - اسماعيل صبري عبد الله : العرب والعولمة ، العولمة والاقتصاد والتنمية ، مصدر سابق ، ص٣٦٦

[٤٩] - محمد الطالبي عيال الله : افكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالاخرين ، تونس ، دار سراس ، ١٩٩٢ ، ص٤٤

[٥٠] - سمر روحي الفيصل : تكريم المبدعين العرب في ضوء التجارب القطرية والقومية في العالم العربي ، في الثقافة والابداع ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٢ ، ص١١٧

[٥١] - زحلان : العرب والتحدي الثقافي ، مصدر سابق ، ص٩١

[٥٢] - برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، مصدر سابق ، ص٧٢

[٥٣] - ينظر :اسماعيل صبري عبد الله : العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية ، مصدر سابق ، ٣٧٧

[٥٤] - م . ن ، ص١٠ - ١١

[٥٥] سمر روحي الفيصل : تكريم المبدعين العرب في ضوء التجارب القطرية والقومية في العالم العربي ، في الثقافة والابداع ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٢ ، ص١١٧